جامعة ستاردوم
STARDOM UNIVERSITY

مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية

ـ مجلة ستاردوم العلمية للدراسات الإنسانية والاجتماعية ـ
تصدر بشكل ربع سنوي عن جامعة ستاردوم
العدد الرابع - المجلد الثالث 2025م
رقم الإيداع الدولي: ISSN 2980-3772

هيئة تحرير مجلة ستاردوم العلمية للعلوم" الإنسانية والاجتماعية "

رئيس التحرير

أ.د. يسن إبراهيم بشير علي - السودان

مدير التحرير

د. أمحمد واحميد - المغرب

المدقق اللغوي

د. باسم الفقير - الأردن

أعضاء هيئة تحرير

د. ناجي محمد حامد - السودان
د. عبد الرزاق القيمة - المغرب
د. ماهر جاسب حاتم الفهد - العراق
د. عبد العزيز إبراهيم مناضل - المغرب
أ.د. ميرفت صدقي عبد الوهاب - مصر

الهيئة الاستشارية

أ.د. إسماعيل محمد مونتانا - أمريكا
أ.د. عوض إبراهيم عوض - السودان
أ.د. حاتم عبد الرحمن الطحاوي - مصر
أ.د. بلقاسم محمد حمام - الجزائر
أ.د. عمر أحمد المصطفى حيّاتي - السودان
أ.د. كامل قريد سمير بن محمد - الجزائر
أ.د. نضال محمد الشمالي - الأردن
أ.د. خالد محمد الخولي - مصر
أ.د. محمد نجيب بوطالب - تونس
أ.د. علي عبد الهادي عبد الله المرهج - العراق
أ.د. محمد أبو الحسن مختار - السودان
أ.د. عزّة محمد جدُّوع - مصر
أ.د. هشام بن الهاشمي - المغرب
د. البكاي ولد عبد الملك - موريتانيا
أ.د. أحمد يحيى الزهيري - العراق

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لمجلة ستاردوم العلمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية

بلاغة الإيتوس في شعر محمود درويش

-دراسة لنماذج-

The Rhetoric of Ethos in Mahmoud Darwish's Poetry

-A Study of Examples-

محمد واقديم

Waqdim2009@gmail.com

باحث في البلاغة وتحليل الخطاب، تكوين الدكتوراة: أدب وفنون، مختبر ديداكتيك اللغات والوسائط والدراماتورجيا، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

امحمد واحميد

hamidouhmid@gmail.com

أستاذ التعليم العالي، تخصص في البلاغة وتحليل الخطاب، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

ملخص

يثير هذا البحث قضية مركزية تهم شاعر القضية الفلسطينية محمود درويش، من زاوية بلاغية لم تأخذ حقها من الدرس والتحليل، وهي المتعلّقة باشتغال الإيتوس وقوته التأثيرية والإقناعية، وبذلك فهو مقال يستعين بمفاهيم البلاغة الجديدة وتحليل الخطاب كما أسس لها الدارسون الغربيون والعرب المشتغلون في هذا المجال، والهدف من ذلك الوقوف عند جانب من إيتوس الشاعر المرتبط بالنضال والمقاومة، وجرد صوره الفرعية على مستوييْ الخطاب النظري الذي تمثّل في رؤية الشاعر المبثوثة في بعض حواراته وتصوراته، وكذا الجانب التطبيقي المتعلّق بالممارسة الشعرية التي استحضرنا منها نماذج من قصائده، كما هدفنا كذلك إلى الوقوف على القوة التأثيرية التي يضيفها هذا الإيتوس، بصوره المختلفة، إلى الخطاب الشعري لدرويش، كي يجعله خطابًا مقنعًا ومقبولًا لدى المستمَع.

وقد اشتغلنا على ذلك باعتماد الإطار المنهجي والمفهومي للبلاغة الجديدة وتحليل الخطاب، في إطار الدراسات المنجزة، عربيا وغربيا، كما عملنا على توظيف المنهج الوصفي التحليلي القائم على الملاحظة والتفكيك والتفسير والاستنتاج.

وبعد دراستنا للجانبين المهمين المشكّلين لإيتوس الشاعر محمود درويش، توصلنا إلى نتائج أبرزها أن هذا الشاعر يقدّم صورة عن نفسه تجعله مناضلًا ومقاومًا شرسًا للاحتلال وسياساته القمعية، وينطلق من رؤية موضوعية للأحداث، ومن رؤية فنية ترى في الشعر وسيلة لزرع الأمل ومحاربة اليأس والظلام والجهل، وهذا ما تجسد في النماذج الشعرية التي سقناها للدراسة والتحليل، وهي ما يبني إيتوسا قويًا من شأنه أن يعزز بلاغة خطابه وقوته في الإقناع، ويجعله قادرًا على دفع المستمَع إلى النضال والإيمان بجدوى المقاومة وضرورتها لتحقيق الانعتاق من الاحتلال.

الكلمات المفاتيح:

الشعر، الخطاب، محمود درويش، الإيتوس، البلاغة الجديدة، تحليل الخطاب.

Abstract:

This research raises a central issue concerning the poet of Palestine, Mahmoud Darwish, from a rhetorical perspective that has not received its due attention in study and analysis. It pertains to the workings of ethos and its persuasive and impactful power. Thus, it is an article that draws on the concepts of new rhetoric and discourse analysis as established by Western and Arab scholars working in this field. The aim is to examine an aspect of the poet's ethos related to struggle and resistance, and to enumerate its sub-images at both the theoretical level, represented in the poet's vision as expressed in some of his dialogs and ideas, and the practical level related to poetic practice, from which we have drawn examples from his poems. We also aimed to highlight the persuasive power that this ethos, in its various forms, adds to Darwish's poetic discourse, making it convincing and acceptable to the audience.

After studying the two important aspects that form the ethos of the poet Mahmoud Darwish, we reached several conclusions, the most notable of which is that this poet presents an image of himself as a fierce fighter and resister of occupation and its repressive policies. He starts from an objective view of events and an artistic vision that sees poetry as a means to instill hope and combat despair, darkness, and ignorance. This is evident in the poetic examples we provided for study and analysis, which build a strong ethos capable of enhancing the eloquence of his discourse and its persuasive power, making it able to motivate the listener to struggle and believe in the usefulness and necessity of resistance to achieve liberation from occupation.

Key words: Ethos, poetic, discourse analysis, Mahmoud Darouich, new rhetoric.

مقدمة :

تحفل الساحة النقدية العربية بالدراسات التي تناولت شعر محمود درويش من زوايا تخييلية مختلفة، وتعاني في المقابل من ندرة الدراسات التي تقارب هذا الشعر من زوايا بلاغية جديدة، ذلك أن المتتبع لما ينجز حول أشعار محمود درويش مثلا لا يكاد يجد من يلتفت إلى جوانبه الحجاجية، إلا في ما ندر، وخصوصا حين نتحدّث عن الاستراتيجيات الحجاجية المعروفة منذ أرسطو: الإيتوس، واللوغوس، والباتوس.

ولعل السبب وراء ذلك هو الاعتقاد السائد حول بعد الشعر عن الحجاج وارتباطه أساسا بالتخييل، وهذا ما يحتاج إلى أن نعيد فيه النظر لكون الشعر خطابا فاعلا في الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للإنسان منذ أقدم العصور، حيث كانت أهدافه ووظائفه مرتبطة على الدوام بالتأثير في المستمعين وتغيير مواقفهم وسلوكاتهم، ودفعهم إلى سلوك معين أو اتخاذ قرارات معينة، وذلك ما نلحظه في الشعر الحديث أيضا، وخصوصا المرتبط بالقضايا الوطنية والإنسانية.

تبعا لذلك فإننا ننطلق في هذه الورقة من إشكالات نوجزها في الأسئلة الآتية:

-ما مدى حضور الحجاج في الخطاب الشعري لمحمود درويش؟

-وما درجة اشتغال استراتيجية الإيتوس في أشعاره؟

-ثم ما الصوة التي يبنيها عن نفسه انطلاقا من خطابه النظري والشعري؟

-وما مدى فعالية هذا الخطاب في تحقيق التأثير والدفاع عن موقفه؟

للإجابة عن تلك الإشكالات ننطلق من فرضيات أساس نسعى إلى التحقق منها، وهي أن الشاعر الحديث، ومحمود درويش تحديدا، يستثمر مختلف الاستراتيجيات الحجاجية سعيا إلى الدفاع عن وطنه ومواقفه، وفي مقدمتها استراتيجية الإيتوس التي يبني من خلالها صورة له تضمن لخطابه وحججه القبول لدى المستمَع[1] وتسهم في إحداث التأثير والإقناع المطلوب، وهذه الصورة تتشكّل من معطيات وجوانب متعددة؛ منها ما يرتبط بالسياقين: العام للوطن وقضاياه، والخاص بتجربة الشاعر ومواقفه التي يبنيها انطلاقا من حواراته وشهرته.

---

[1] نستعمل هنا مصطلح مستمَع كما وضعه محمد العمري مقابلا ل Auditoire، اعتبارا لكونه يراعي الإشارة إلى المتلقي في ظروف زمانية ومكانية مرتبطة بتلقي الخطاب، ويرى أنها أدق من ((الجمهور)) و((السامعة))، وكلمة مستمَع لديه «تؤدي المقصود بشكل وافٍ. فهي تعني مجموع السامعين، والمكان الذي يجتمعون فيه، ويحل بذلك على المقام، كما أنها موجّهة للدلالة على السامعين من خلال الجذر الذي اشتقت منه، وعلى المكان من خلال صيغتها الصرفية، وتلتقي مع المصطلح الفرنسي في دلالتها على السمع، زيادة على أنها تجعل التنقل بين المعاني المجاورة منسجماً: مستمَعات (Auditoire) –مستمِع (Auditeur) –مستمِعون (Audieurs) –مستمِعة (Auditrice)» (الخطابية والمستمَع، 2013، صفحة 164)

لذلك آثرنا هنا البحث في جانب استراتيجيات الإيتوس وطريقة اشتغالها عند محمود درويش، مسلحين بالرصيد المفاهيمي والمنهاجي للبلاغة الجديدة كما نظّر لها باحثون غربيون أمثال شاييم بيرلمان (Chaim Perelman)، وكما أرسى أسسها محمد العمري عند العرب، مشغّلين أساسا مفاهيم الحجاج وتحليل الخطاب، والإيتوس، والمستمَع، ومعتمدين المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على دراسة النصوص والنماذج المختارة ثم استقصاء حضور الإيتوس في متنها، واستنتاج الخلاصات في النهاية.

وقد كان هدفنا من هذه الدراسة أن نقدّم دراسة للشعر من منظور البلاغة الجديدة وتحليل الخطاب، بالإضافة إلى أن نكشف الصورة التي يبنيها محمود درويش لذاته لدى المستمع، ومدى مساهمتها في تقوية هذا الخطاب وإكسابه الفعالية للإقناع، وسلكنا في ذلك طريق استقصاء جوانب بناء هذه الصورة (الإيتوس)، من خارج الخطاب، ضمن حواراته ومداخلاته وتنظيراته التي تحدّد طبيعة الشعر ووظائفه وغاياته لديه، ومن داخل الخطاب، عبر تتبع ما يحتويه شعره من معارف ومواقف تجاه الإبداع والواقع ومختلف قضاياه.

I.الإيتوس في البلاغة وتحليل الخطاب

حاولت العديد من الدراسات مناقشة جوانب مفهومي الإيتوس والباتوس، بدءا من أرسطو الذي تحدّث عن أخلاق الخطيب باعتبارها جانبا مهما لتحقيق الإقناع، إلى جانب الأهواء الخاصة بالمستمَع (الباتوس)، والحجج المثبتة في الخطاب (اللوغوس) (أرسطو، 1986، ص 29). وقد ارتبط الإيتوس بمنتج الخطاب وصورته التي تنعكس على خطابه، وترتسم داخله فتجعله مقبولا لدى المستمع، ومقنعا له، بينما ارتبط الباتوس بالمستمَع وأهوائه، وهما معا يسهمان بدور فعال في تحقيق الإقناع، والأخير يتمّ بآليات مختلفة، بحيث «أن تكون مقتنعًا تمامًا، وفقًا لأرسطو، لا يعني أن تكون مقتنعًا على المستوى الفكري وحسب، بل أيضًا أن تكون متأثرًا. تشمل مجموع الأدلة المستخدمة في الحجاج البلاغي تلك المرتبطة بالـ(pathos) والـ (ethos)» (Tindale, 2009) ، بمعنى أن الإقناع والتيقين يمكن تحقيقهما بوسائل كثيرة يستغلّ منها الشعر عددا غير يسير.

يتمّ التمييز، بخصوص الإيتوس، بين نوعين اثنين يوردهما كرستيان بلانتان (Christian Plantin) الذي « يميز من جهة الإيتوس الخاص، التخييل الذاتي الذي يشكله بناء الصورة الذي ينوي الخطيب تقديمه للمستمَع؛ ومن جهة أخرى إيتوس مستمَعه، التركيب المعلوماتي الذي يمكّنه من تكوين تصور مسبق لمستمَعه»(Plantin, 2021) ، ومن هنا يمكن الحديث عن إيتوس الخطيب وإيتوس المستمَع، مما يزكّي ما أسلفناه حول المستمَع المفترض عند المؤلّف/الخطيب، ويعطي كلٌّ منهما صورة عن الذات الباعثة والمستقبِلة، ويتمّ تشييد الخطاب عبر ملاءمة إيتوس الذات مع إيتوس المستمع وباتوسه كذلك بقصد إقناعه، وبالتالي فالجوانب العاطفية والأخلاقية شديدة الأهمية في العملية الحجاجية، وخصوصا حين

يتعلّق الأمر باستهداف قاعدة واسعة من المستمَع، وقد استمرّت الدراسات المرتبطة بهما في التطوّر إلى عصرنا.

ويرتبط الإيتوس بأخلاق وسمات الخطيب الفكرية والعاطفية، بينما يتعلّق الباتوس بأهواء وعواطف المستمَع، وقد خصص لهما أرسطو المقالة الثانية من خطابيته، وفصّل الحديث عن مجمل الأحاسيس الإنسانية كالغضب والشفقة والرحمة وما يسهم في استثارتها، وهي أمور تلتقي مع ما أورده في شعريته عن إثارة الخوف والرحمة، وهي أمور مستبعدة من العملية الحجاجية لدى التيار العقلاني الوضعي لكونها تعيق عملية المناقشة الموضوعية ووضوح التفكير، خصوصا ما يتعلّق بالإيتوس، الذي يتعلّق بمغالطة الحجة الشخصية (ad hominem) (Leff, 2009, p. 37)، عند تيارات المنطق الصارم. لذلك حاول بيرلمان في مشروعه للبلاغة الجديدة، القائم على المنطق غير الصوري، أن يعيد الاعتبار للحجج المرتبطة بالشخص (Leff, 2009, p. 38)، معتبرا أنه ليس هناك حجاج دون تدخل الشخص (الخطيب والمستمَع)، لكنه مع ذلك حاول أن يحدّ من تأثير العواطف في الحجاج فصبّ معظم اهتمامه على الحجج اللوغوسية، وجاء بعده من يعيد لها الاعتبار، مثبتا أن الإيتوس هو توأم الحجة الشخصية، نشير هنا إلى روث أموسي وبرينتون، وغيرهما ممن يعتبرون مصداقية وسلطة الدعاوى نتيجة لبناء السمات أو أنواع الشخصيات من خلال الأداء الخطابي (Leff, 2009, p. 39).

لقد عمل بيرلمان على استبعاد النوازع العاطفية من العملية الحجاجية، على اعتبار أنها لا تدخل في مجال اشتغاله، وهو الذي يبحث عن منطق للقيم ويحاول تقريب الخطابة من الجدل، ثمّ جاء بعده باحثون آخرون أعادوا الاعتبار لهذين المقوّمين المهمين، واشتغل كثير منهم على الإيتوس من منظور البلاغة، أمثال ميشيل مايير وروث أموسي، الأول يعتبر أن «الإيتوس هو أسلوب الخطيب، وما هو عليه، وما يدعو إليه، وما يريده» (meyer, 1995, p. 150)، وهذا يوحي إلى جمع المفهوم بين أخلاق الخطيب وصورته الاجتماعية، وبين ما يقوله وما يهدف إليه. وهناك من اهتمّ به، من منظور تحليل الخطاب، وأبرز المشتغلين عليه دومينيك مانغونو (Dominique Maingueneou) الذي يرى أن النظريات التي تطرقتّ إليه كثيرة ومتنوعة، وأنّ أصحابها توصّلوا إلى تحديد أنواع مختلفة منه، مثل: الإيتوس المهني، والسياسي، والهادئ، والقروي، والأمومة، والاشتراكي... إلخ(Maingueneou, 2014) . وحاول حصرها في أصناف محدّدة متعلّقة بالأدب، وتوصّل إلى أنه يكون إما إيتوسًا خطابيًا (L'Ethos Discursif)، وإما إيتوسا قبل-خطابي (L'Ethos Pre-Discursif)، ويسمي هذا الأخير الإيتوس القبلي (Préalable)، ويقيم تمييزا آخر ثلاثيا بين أنواعه ضمن ما يسميه أبعاد الإيتوس كالآتي:

-البعد الفئوي (Dimension categorielle): يقول عنه مانغونو إنه «يشمل فئات من طبيعة متنوعة جدا. يمكن أن تتعلّق الأدوار بممارسة الخطاب، التي تفهم من زوايا مختلفة: على سبيل المثال: الرّاوي، الروائي، الكاتب، الشاعر، النبي...إلخ، ويمكن أن يتعلّق كذلك بالفئات الاجتماعية المتنوعة جدا (خادم،

فلاح، محام، أب، امرأة...)، والعرقية (فرنسي، أنجلو-سكسوني، ياباني...)، وتثير هذه الفئات المتعددة إشكالية الإيتوس لأنها مرتبطة، بشكل نمطي، بطرق الكلام»(Maingueneou, 2014) ، ويرى أنها تشكّل أدوارا خطابية تقابلها استخدامات لغوية، مثل دور المعلّم.

-البعد الإديولوجي (Dimension ideologique): يعتبر أنه مرتبط بتموقع المتكلّمين داخل حقل تتصارع فيه القيم (السياسية، الجمالية، الدينية، الفلسفية...)(Maingueneou, 2014) . وهو إيتوس معروض ومذكور داخل النص.

-بعد التجربة والخبرة (Dimension Experientielle): يتعلّق هذا البعد عند مانغونو بخصائص النصوص المتنوعة، والتي تجمعها خاصية السعي نحو جعل المستمَع يعتنق قيما ما، وهي تمتلك نغمة محدّدة ترتبط بتوصيف نفسي-اجتماعي للمتلفّظ، يبنيه المستمَع فيصير ضامنا لتصديق ما يقول، كما أنه يُبنى من خلال طريقة الكلام التي يبث عبرها تمثلات اجتماعية تُقيَّم إيجابا أو سلبا (Maingueneou, 2014) .

وهكذا يرتبط الإيتوس في الأدب أساسا بالمؤلّف الذي اهتمت به نظريات نقدية مثل نظرية التلقي، التي ميزت بين المؤلف الواقعي والمؤلف الضمني، ويطرح إشكالات متنوّعة في علاقته بالحجاج تتعلّق بطبيعة هذا الخطاب الإيحائي الذي يلمّح أكثر مما يصرّح، إلا أن طبيعته التواصلية تفرض النظر إليه خطابا تأثيريا، يرسم صورة للمؤلِّف ومواقفه وشخصيته، وهذا واضح في أجناسه المختلفة، وفي الشعر تحديدا، إذ يلحظ الدارس أنه يقدم صورة عن الشاعر وانشغالاته، تعطي مقبولية لخطابه وتجعل المستمَع ينخرط في توجّهاته، وهذا ما سيتّضح في مقاربة التجربة الشعرية الحديثة، في ارتباط بتجارب الشعراء الخاصة، وبانتماءاتهم السياسية والمذهبية والاجتماعية، مما يجعله متنوعا، كما سنرى، وحاضرا بأنواعه وأبعاده المختلفة، وسنرى بأنه متنوع بتنوع التجارب المدروسة خلال القسم التطبيقي.

أما بخصوص الباتوس في مجال الأدب والشعر، فالشائع أن الأديب والشاعر لا يأخذ بعين الاعتبار المستمَع أثناء إنتاج خطابه، لكنه يشترك معه في الهموم والانشغالات. ولن نجازف إذا قلنا إنه من غير الممكن أن نجد -في مجال الأدب تحديدا- متكلّما لا يفترض مستمَعا لخطابه *(بوحسن)، حتى لو كان ذلك المستمَع هو الشاعر نفسه، إذ بمجرّد أن يفكر في إنتاج قصيدة، يحضر في ذهنه أنه يتوجّه إلى مستمَع خاص، وآخر كونيّ، رغم أنه لا يفكّر في استغلال أهوائه، بالمعنى السلبي، كي يحقّق غايات ضيّقة، فهو يسعى إلى استقطابه كي يعيش تجربته وينظر إلى الواقع من منظوره، وبالتالي لا بدّ له أن

---

*سيجد المطّلع على الكتاب أن العلاقة بين القارئ النموذجي والمؤلف النموذجي قائمة على التعاون بين استراتيجيتيهما الخطابيتين، ذلك ما يعني أن المؤلّف يأخذ في الحسبان مستمَعه، بكل تلويناته التي من بينها القارئ التجريبي، ويحاول أن =يضع في خطابه استراتيجية محكمة تعينه على بلوغ المطلوب، ولا يغفل ما دوه من القراء الذين يدخلون ضمن مستمَعه ومقامه العام والخاص.

يركّز على مراعاته ومعرفة أهوائه، والعمل على استثارة عواطفه وتوجّهاته لتحقيق ذلك الانخراط المرغوب الذي يوصل إلى تغيير السلوك أو المواقف.

II.اشتغال إيتوس النضال الوطني والإنساني في شعر محمود درويش

لعلّ محمود درويش من أبرز شعراء القضية الفلسطينية، وهو من الشعراء الرواد الذين عايشوا مراحل الصراع مع المحتلّ الإسرائيلي منذ بداياته، واتخذوا موقف المواجهة ضدّه، واختاروا الدفاع عن أرضهم بالكلمة، إيمانا منهم بأنها سلاح يمكن أن يهزم العدوّ ويكشف حقيقته وينقض أطروحاته، للمساهمة في طرده منها، ويدخل معه في هذه الدائرة كلّ من فدوى طوقان، وإبراهيم طوقان، وأحمد زيادي، وسميح القاسم، وغيرهم كثير.

بناء على ذلك، يتضح أن درويش يكتسب إيتوسا يبني فيه صورة للذات الشاعرة عبر خطابه النظري وممارسته الشعرية، وهو إيتوس عام يقدّم الشاعر المناضل الوطني والإنساني، سنحاول تتبع تشكّله واشتغاله وقف مرحلتين هما:

1.بناء إيتوس الشاعر المناضل على المستوى النظري

يتميّز محمود درويش بغنى تجربته الشعرية وثرائها، بحيث إنه مرّ بعدة مراحل، خلال تاريخه الطويل مع الشعر، مما يضمن له إيتوسا يمكن اعتباره ما قبل خطابي، يسهم في الدفاع عن موقفه، وهذا يظهر من خلال موقفه المعلن من الشعر، وتصوره لماهيته وأدواره في الحياة والمجتمع، وتتشابك عدة جوانب لبناء هذا الإيتوس. إنه يملك تصورا شموليا تلتقي فيه المقاومة والإنسانية، فهو خلال مرحلة السبعينيات، كان يرى أن مهمة الشعر مرتبطة بالـ«دفاع عن وطن أمام قوى تقهر هذا الوطن» (الآداب، 1970، صفحة 2)، وأن عمله، باعتباره شاعرا، «يتلخص في كشف نفسية الإنسان الذي يدافع عن وطنه بمختلف الأشكال والأزياء» (الآداب، 1970، صفحة 2)، فكان بذلك شاعر القضية الفلسطينية، وشاعر الإنسانية بمعانيها الأصيلة.

كما أنه شاعر ثوريّ في علاقته بالتراث والتجديد؛ إذ نجد له موقفا يدعو من خلاله إلى التجديد، لكن بحذر وعقلانية، دون الانسلاخ الكلي عن الماضي، وفي هذ يقول: «ماذا نعني بالثورية داخل الشعر؟ الموقف من التراث، والتجديد الدائم للعلاقات القائمة في القصيدة وتغيير هذه العلاقات. لا أعني بالتغيير التدمير أو الإبادة، أعني التطوير. إن المحافظة على كل ما هو حيوي في القديم هي المحافظة على المقدمات لمتابعة الحركة. والجديد –كما نعلم– لا ينفي القديم كلّه» (الآداب، 1970، صفحة 3)، وكان موقفه بذلك ثوريا في الحياة والشعر معا، بنى صرحه الشعري على الثورة ضد العدو في الحياة، وعمل على تجديد الشعر العربي مستفيدا من آليات جديدة، مثل الرمز والأسطورة اللذين يعرّفهما، ارتباطا بتجربته، قائلا: «إن الرمز في الشعر –كما نعرف– يضيف أبعادا أخرى للقصيدة أو يمنح أجنحتها مزيدا

من الريش[...] ثم إن الأسطورة –في جوهر الأمر– تلعب دور الرمز في القصيدة الحديثة» (الآداب، 1970، صفحة 4)، وهذا ما يعني أن الرمز يغني القصيدة دون أن يدخلها في دائرة الغموض المستعصي، وهذا يتماشى مع رؤية محمود درويش للشعر، إذ ينبغي أن يكون صادقا تتداخل فيه الذات مع الجماعة دون إلغاء الطابع الذاتي لهذا الشعر، الذي يرى محمود درويش أن جوهره هو الصدق (الآداب، 1970، صفحة 5).

ولا ننسى أن موقف محمود درويش له جانب سياسي، وذلك أنه كان مناضلا نشطا ضمن الحزب الشيوعي، وضمن منظّمة التحرير الفلسطينية، وخاض تجارب النضال والاعتقال من قبل سلطات العدو الإسرائيلي، فكان شعره معبّرا عن توجّهه السياسي الثوري، إذ إن قصائده الأولى كانت ثوريّة تصرخ في وجه العدو وتعلن الثورة وتفجّر نار الغضب في وجهه، لكنّ درويش لم يواصل على هذا النسق، إذ نجده يعلن في مراحل تالية من مساره أن هذا الشعر السياسي لا يعدو أن يكون خطبا، وأن «على الشاعر أن ينتبه إلى مهنته وليس فقط إلى دوره» (وازن، 2006.، صفحة 67)، إلا أنه –على الرغم من ذلك– يؤمن أنه «لا يستطيع أي كاتب في أي منطقة من العالم أن يقول: أنا نظيف من السياسة. فالسياسة شكل من أشكال الصراع، صراع البقاء وصراع الحياة» (وازن، 2006.، صفحة 67)، وهذا يوحي بأن الشعر والشاعر لا يمكن أن ينفكّ عن السياسة لأنهما يقعان في صلب صراعاتها، مما يسوّغ حضور الشعر في السياسة والسياسة في الشعر، لكنّ ما يعنيه درويش تحديدا هو أن تكون الشعر شعرا بمقومات جمالية ترفعه من مستوى الحديث اليومي.

ورغم تعدد الروافد المشكّلة لتجربة هذا الشاعر، فإنه يبقى شاعرا وفيا للإبداع الشعري في كلّ مراحل تجربته، التي اتسع فيها أفقه الشعري وأصبح في النهاية ملتزما بقضايا الإنسانية، وحريصا على الارتقاء ببلاغة شعره، باستغلال مخزونه وتجربته الثقافية والنضالية والمعرفية الغنية، وذلك ما أهله ليحظى بمكانة بارزة في الشعر العربي الحديث وعند النقاد، إلى درجة يقال فيها: «إنه الشاعر أولا وأخيرا وربّما الشاعر فقط، سارق النار ومُضرمها، الشاعر السرّي المتجذر في أرض الحلم والمنفتح على شمس الرؤيا. الشاعر الذي جعل مأساته التي هي مأساة أرضه، ملحمة تراجيدية، تمتزج فيها النبرة الغنائية العالية والصوت الإنساني الخافت» (وازن، 2006.، صفحة 61)، وبذلك انتهى شاعرنا إلى اتخاذ موقف الإنساني والمناضل الذي يذيب قضايا الإنسان في ذاته، ويمرّر الهمّ الفردي عبر مصفاة الشعر فيجعل منه شاغلا إنسانيا عاما، وهذا ما جعله يمتلك رؤيا شعرية بالمفهوم الذي أثرناه أعلاه مع الناقد علي جعفر العلاّق،

الذي أشـار إلى أن درويش يمتلك رؤيا شـعرية متميزة تمنح شـعره قوّة وتأثيرا بالغين* (العلاق، 1990.، صفحة 21).

2. بناء إيتوس الشاعر المناضل من خلال الممارسة الشعرية

نجد أن درويش، على مستوى الممارسة الشعرية، يبني إيتوسا خطابيا مرتبط بالنضال في سبيل الوطن، وذلك ما يصـوغه من خلال تصـوّره وموقفه الذي يعلنه ضـمن عدد من القصـائد، يظهر من خلالها أنه يدافع عن مفهوم للشعر محدّد، وعن وظيفة له يراها ملازمة له، وهي إشعال نار الغضب وتثوير المستمَع الذي يمتدّ من الشاعر ذاته والمناضلين في وطنه المستهدف من قبل المحتلّ، إلى الإنسان العربيّ في كلّ بقاع الوطن العربي، وإلى الإنسـان الحر عموما، والذي يسـتهدف مخاطبة أهوائه وطبعه الرافض للظلم والطغيان والعدوان، مع الاصطفاف إلى جانب المظلومين، ونجد أن هذا الإيتوس له تجليات صغرى.

يظهر التجلي الأول ضمن إيتوس الشاعر الجاد في قصائد من قبيل قصيدة: **إلى القارئ** التي تمثّل مرحلة البدايات، ويخاطب فيها ذلك المستمَع موجّها إليه رسالة مفادها أن السياق لا يحتمل الطرب، ويلتمس منه ألا ينتظر منه نمط شعر الطرب، لأن الشعر في حقيقته أداة لإضرام نار الغضب والثورة في واقع مأزوم، وذلك إذ يقول:

يَا قَارِئِي!

لَا تَرْجُ مِنِّي الهَمْسَ!

لَا تَرْجُ الطَّرَبْ

هَذَا عَذَابِي..

ضَرْبَةٌ فِي الرَّمْلِ طَائِشَةٌ

وَأُخْرَى فِي السّحُبْ!

حَسْبِي أَنِّي غَاضِبٌ

وَالنّارُ أوّلُهَا غَضَبْ! (درويش، 2010، صفحة 7)

* يشير إليه علي جعفر العلاق في سؤال يظهر تميّزه وامتلاكه لرؤيا شعرية خاصة، فيقول: «ألا نجد أنفسنا ميّالين إلى قراءة محمود درويش مع ما يكتنف بعض قصـائده من اسـتطرادات، وإطالات يمكن حذف الكثير منها»، وهي إشـارات فيها عناصر أخرى تفيدنا في هذا البحث، لأن تلك الاستطرادات والإطالات تعطي نصوصه طابعا فكريا نفسا حجاجيا سنكشف عنه في حينه.

ما يهمّنا أن القصيدة تساوي بين الشعر والغضب، وتحاول الإقناع بأنّ الشعر عند درويش ليس طربا وترفا، بل وسيلة للمواجهة، ونكشف من خلالها جدّية الشاعر ونظرته للشعر ووظيفته المرتبطة بالجد والعمل من أجل الوطن، لأن القضية لا تحتمل الهزل.

وهناك تجلٍّ آخر هو إيتوس المجازفة المتكئ على النظرة السابقة إلى الشعر، وذلك ما يظهر في قصيدة: **ولاء** ضمن الديوان ذاته، ويوضّح فيها أن الحرف إما أن يكون سيفا وحبل مشنقة للعدوّ أو يموت، يقول فيها:

حَمَلتُ صَوْتَكَ فِي قَلْبِي وَأَوْرِدَتِي

فَمَا عَلَيْكَ إِذَا فَارَقْتَ مَعْرَكَتِي

أَطْعَمْتُ لِلرِّيحِ أَبْيَاتِي وَزُخْرُفَهَا

إِنْ لَمْ تَكُنْ كَسُيُوفِ النَّارِ.. قَافِيَتِي!

آمَنْتُ بِالحَرْفِ.. إِمَّا مَيِّتاً عَدَماً

أَوْ نَاصِباً لِعَدُوِّي حَبْلَ مِشْنَقَةٍ

آمَنْتُ بِالحَرْفِ نَاراً.. لَا يَضِيرُ إِذَا

كُنْتُ رَمَاداً أَنَا.. أَوْ كَانَ طَاغِيَتِي! (درويش، 2010، صفحة 9)

إنّ الشاعر هنا يحمل صوت كلّ فلسطيني، بل كلّ مظلوم، ويعلِن أنه سيضحّي بنفسه، وأن أشعاره ينبغي لها أن تكون سيوفا تقطع رقبة الأعداء الطغاة، وإلا فمصيرها الموت والزوال، وبالتالي ينبغي أن تجازف وتحرق العدو بنارها رغم كل مخاطر ذلك، ما يعني أن الشعر عنده له وظيفة هي الدفاع عن المظلومين وإنصافهم، وبذلك فشعره شعر قضية.

ويؤثر محمود درويش أن يكون شعره صدى لمحنة الإنسان، ومحنة الأرض بكلّ أحيائها، فيختار أن يصطّف إلى جانبهما، وهو ما يجلّي جانبا آخر من إيتوسه، يرتبط بالشاعر الجامل لهموم الإنسان، والذي يختار مسار خوض غمار المعركة مع العدوّ على أن يظلّ ممثلاً في مسرحيّة الشعر والسياسة، وفي ذلك يقول ضمن قصيدة: **ويسدل الستار** التي جاءت على شكل خطاب إلى مستمَع قرائه في كلّ مكان، ويعلن في مقطعها الأخير:

سَيِّدَاتِي..

آنِسَاتِي..

سَادَتِي!

سَلَّيْتُكُمْ عِشْرِينَ عَامْ

آنَ لِي أَنْ أَرْحَلَ اليَوْمْ

وَأَنْ أَهْرُبَ فِي هَذَا الزِّحَامْ

وَأُغَنِّي فِي الجَلِيلْ

لِلْعَصَافِيرِ التِي تَسْكُنُ عُشَّ المُسْتَحِيلْ

وَلِهَذَا.. أَسْتَقِيلْ (درويش، 2010، صفحة 307)

فاستقالة الشاعر هنا موقف مناهض لموقف التسلية واللعب والتمثيل على الناس في مسرحيّات السلام وفي الشـــعر الجذّاب المموّه، وتعبير عن اختيار الوقوف إلى جانب الوطن (الجليل) بكلّ مكونات هويته المسلوبة والمضطهدة، مهما بدت بسيطة مثل العصافير التي يمكن أخذها بدلالاتها البعيدة التي ترتبط بالأطفال والإنسان الفلسطيني عموما، الذي أصبح مكوثه في وطنه مستحيلا بسبب التهجير والظلم.

ومن أبرز تجليات إيتوس الشـاعر محمود درويش نجد إيتوس النبي المصـلح وصـانع الأجيال، إذ تمتد عنده مهمة الشعر والشاعر إلى صناعة الأجيال وخلق الأنبياء، فيصير أداة لإنارة العالم، بدءا من مساكن البســطاء، ومعاولَ في أيدي الكادحين، ومحاريث في أيدي الفلاحين، وهذا موقف شـامل يكشـف عنه الشاعر في قصيدة: **عن الشعر** التي يفتح فيها حوارا مع الشعراء، مفتتحا إياها بتذكيرهم بماضي الشعر ومؤكّدا أن مستجدات الحياة تفرض تغيير النظر إلى الإبداع الشعري، فيقول:

أَمْسِ، غَنَّيْنَا لِنَجْمٍ فَوْقَ غَيْمَهْ

وَانْغَمَسْنَا فِي البُكَاءْ!

[...]

يَا رِفَاقِي الشُّعَرَاءْ

نَحْنُ فِي دُنْيَا جَدِيدَهْ(درويش، 2010، صفحة 53).

وبعد هذه المقدّمة التي أسّسَ فيها الشاعر حجاجَه على ماضي الشعر الذي ترك الناس بؤساء بسبب طوباويته في وقت تتغيّر فيه الأوضاع، التي تفرض تغيّرهم ومواكبتهم للتجديد، سيكشف عن طبيعة الشعر وماهيته، ووظائفه وأدواره قائلا:

مَاتَ مَا فَاتَ، فَمَنْ يَكْتُبِ الآنَ قَصِيدَهْ

فِي زَمَانِ الرِّيحِ وَالذرَّه

يَخْلُقْ أَنْبِيَاءْ. (درويش، 2010، صفحة 54)

والأنبياء بالطبع ينشرون السلم والأمان ويهدون الناس إلى أنوار الإيمان ويضيئون عتماتهم، وهذا بالضبط ما يضطلع به الشعر في الزمن الجديد، فيأخذ بيد البسطاء ويضيء بيوتهم، الأمر الذي يجسّده المقطع الموالي، حيث يعلن درويش:

قَصَائِدُنَا، بِلَا لَوْنٍ

بِلَا طَعْمٍ... بِلَا صَوْتِ!

إِذَا لَمْ تَحْمِلِ المِصْبَاحَ إِلَى مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتِ. (درويش، 2010، صفحة 54)

ويضيف أن الأولى بها أن تذرّى ويخلد الشعراء إلى الصمت، كما أنه يتمنّى أن تكون كلماته سلاحا في يد المناضلين من المكافحين والكادحين، ممّا يعني أن مهمّتها الدفاع عنهم ومساعدتهم في أعمالهم، وبعبارة أخرى إن الشعر مهمّته ملامسة هموم الناس ومساعدتهم على تحمّل أعباء حياتهم مهما اختلفت وتباينت، وهذا ما يحمله المقطع المتبقّي من القصيدة:

لَوْ كَانَتْ هَذِي الأَشْعَارْ

إِزْمِيلًا فِي قَبْضَةِ كَادِحْ

قُنْبُلَةً فِي كَفِّ مُكَافِحْ!

[...]

مِحْرَاثاً بَيْنَ يَدَيْ فلَّاحْ

وَقَمِيصاً... أو باباً... أو مفتاحْ. (درويش، 2010، الصفحات 54-55)

هنا نلفي الشاعر حاملا لمشروع إصلاحي يسعى من خلاله إلى أن يمدّ كلّ الناس بالأدوات التي تصلح بها حياتها، كلّ في مجاله، بحيث إنه يريد أن يمد الكادح بالإزميل، والمكافح في ساحة المعركة بالقنبلة، والفلاح بالمحراث الذي يحرث به الأرض ويوفّر به قوته وقوت من يعتمدون عليه من المجتمع، ثم إنه يسعى كذلك أن تكون أشعاره ثيابا لكل المحتاجين وأبوابا لبيوت تحتضن المتشردين، ومفاتيح تفتح كلّ المغالق التي يصادفها الإنسان في طريقه، وهذا من شأنه أن يرسم للشاعر صورة النبي الذي يأتي بالحلول لكل المشاكل والمعضلات التي تعترض الإنسان، ومن شأنه كذلك أن تضمن لخطابه القبول والانقياد لما يحمله بخصوص قضايا الفلسطيني، والإنسان عموما.

خاتمة

هكذا يتّضح أن الشاعر الفلسطيني محمود درويش يبني إيتوسا مرتبطا بالنضال والدفاع عن القضايا الوطنية والإنسانية، مما يوحي باهتمامه بما هو خاص مرتبط بالقضية الفلسطينية والدفاع عن الأرض ضدّ بطش المحتل، ولا يكتفي بذلك بل يهتمّ بالقضايا الإنسانية المشتركة لجميع الناس، وخصوصا المنتمين إلى الطبقات الكادحة.

ويصبح عنده الشعر بذلك سيفا قاطعا وقنبلة يلقيها في وجه العدوّ، ووسيلة فنّية لها دور فعّال في تحرير الإنسان، والدفاع عن الوطن، كما أنه أداة تظهر الدور البارز للشاعر في مجتمعه المظلوم الذي سُلبت أرضه وانتُهكت كلّ حقوقه.

وقد تشكّل إيتوس الشاعر عبر مرحلتيْن: الأولى تضمّ إيتوسا ما قبل خطابي، ظهر على المستوى النظريّ المتعلّق بتصوّره للشعر على أنه سيف وشرارة نار تدشّن عملية إحراق العدو وتحرير الإنسان عموما من الظلم، كما كانت نظرته إلى الشعر حركيّة وديناميّة، وغير ثابتة نتيجة سيره في اتجاه نضج التجربة ونموّها، فكان شعره –على مستوى الممارسة التي تضمّ الإيتوس الخطابي– في البداية خطبا مباشرة ترسم صور إيتوس الشاعر الغاضب وتردّ على هجمات الأعداء، ثم مع تقدّم الزمن أصبح يحفل بالجانب الإبداعي بالموازاة مع الانفتاح على قضايا الإنسان عموما، وهو ما يظهر إيتوسا آخر يربط الشاعر بالجمال والحب والسلام.

ذلك ما يجعلنا نصل إلى أن مفهومه للشعر يتماشى مع الموقف الرافض الظلم، والمدافع للعدالة، والذي يناصر قضايا المظلومين، وأولهم الفلسطينيون، ويدخل في حوار مع العدو الإسرائيلي، من داخل الأراضي المحتلة بداية، ومن خارجها فيما بعد، مع انخراطه الملتزم بالنضال السياسي والشعري بالكلمة والحجة بمختلف أصنافها، وهذا ما يظهر حجاجية نصوصه التي دافع فيها عن موقفه ووطنه وسعى من خلالها إلى إسناد ظهر المقاومة وكشف زيف أطروحات العدو وسردياته وأساطيره التي أقام عليها بنيانه، وهذا ما يسنده الإيتوس العام وصوره الجزئية التي تبدو فعّالة في إقناع المستمع بقبول هذا الشعر والانقياد لكلّ ما يحمله من مواقف، وما يدعو إليه من تحرّكات تسعى إلى القضاء على الاستعمار والظلم في الوطن وفي كلّ بقاع العالم.

ببليوغرافيا

باللسان العربي:

- أرسطو، (1986). *الخطابة ، تر: بدوي عبد الرحمن، بغداد-العراق، دار الشؤون الثقافية«آفاق عربية»، ط2 .*
- بوحسن، أ. (2004). *نظرية الأدب القراءة- الفهم- التأويل، الرباط، دار الأمان، ط1 .*
- *البلاغة وتحليل الخطاب. (2013). مصطلحات ومفاهيم: الخطابية والمستمع. ع2، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة.*
- العلاق، ع. ج. (1990). *في حداثة النص الشعري دراسات نقدية، .* بغداد- العراق : دار الشؤون الثقافية العامة، ط1.
- درويش، م. (2010). *ديوان محمود درويش، المجلد الأول.* بيروت-لبنان: دار العودة، ط1.
- مجلة الآداب. (سبتمبر, 1970). مقابلة أدبية مع محمود درويش،بيروت: دار الآداب.
- وازن، ع. (2006). *محمود درويش الغريب يقع على نفسه .* بيروت: دار رياض الريس، ط1 .

باللسان الأجنبي:

Leff, M .(2009) .Perelman argumentation ad hominem et ethos rhetorique . *Argumentation et Analyse du discour. 2* , 36-47. https://doi.org/10.4000/aad.213

Maingueneau, D . (2014), Le recours à l'*ethos* dans l'analyse du discours littéraire , *Fabula / Les colloques*, URL :http://www.fabula.org/colloques/document2424.php

Meyer, M .(1995) .Problématologie et Argumentation ou la philosophie a la rencontre du langage . *HERMES*.15 , 145-154.

Plantin, C .(2021) .*Dictionnaire de l'argumentation* .Récupéré sur icar: http://icar.cnrs.fr/dicoplantin/ethos.

Tindale, W .(2009) .L'argumentation rhetorique et le probleme de l'auditiore complexe. Argumentation et Analyse du discours 2, 49-63. https://doi.org/10.4000/aad.493

Stardom University

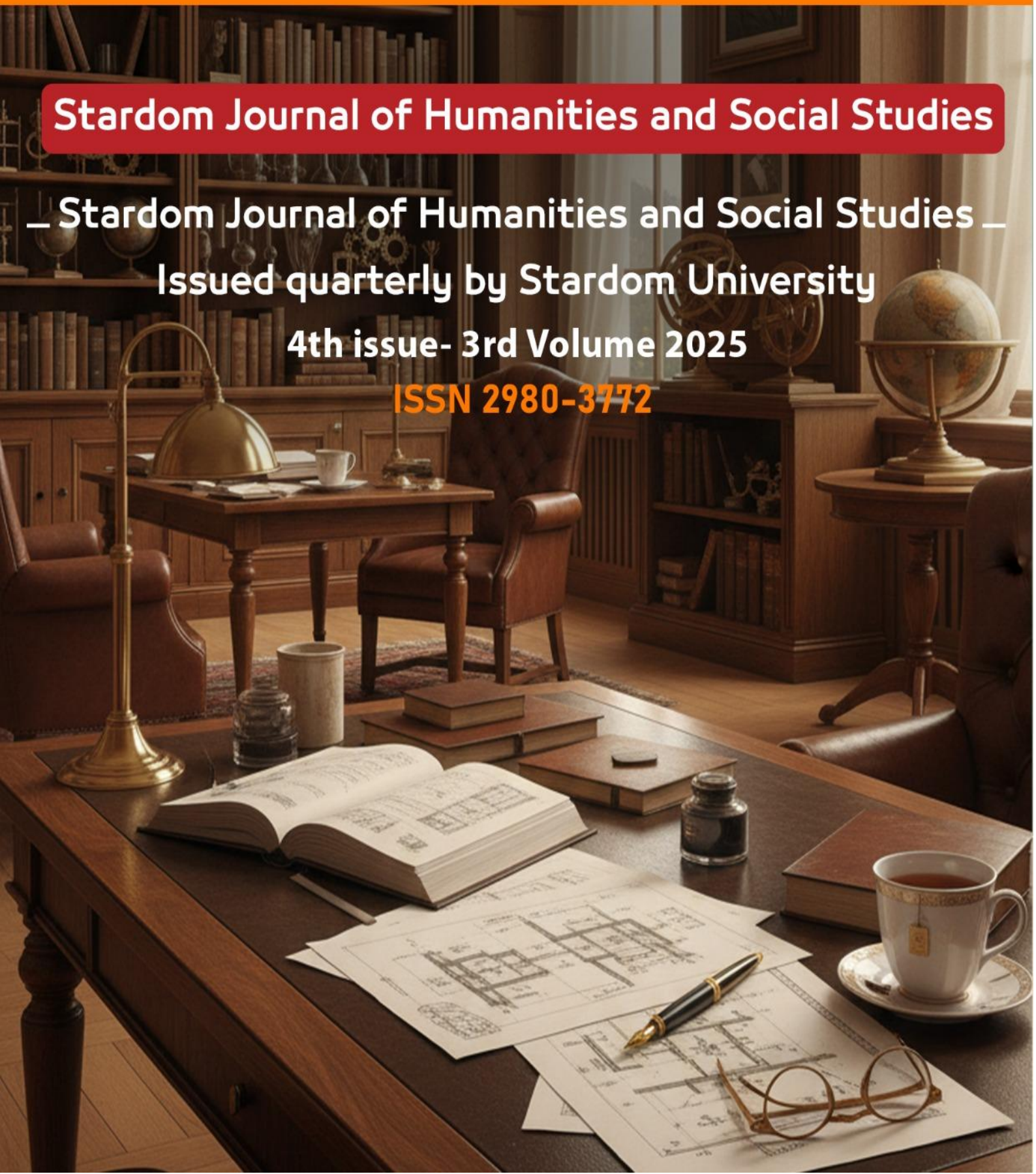

Stardom Journal of Humanities and Social Studies

_ Stardom Journal of Humanities and Social Studies _

Issued quarterly by Stardom University

4th issue- 3rd Volume 2025

ISSN 2980-3772